شرح العقيدة الواسطية

لفضيلة الشيخ:

يحيى بن أحمد الجابري

حفظه الله تعالى ووفقه

مع تحيات

إذاعة طلاب العلم الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم.

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد, وعلى آله وأزواجه وذرياته وأصحابه أجمعين, أما بعد..,

***** المتن *****

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ, وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ, وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ, وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى, فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

***** الشرح *****

قوله: فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: أي أن أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله تعالى ما وصف به نفسه, كما يفعل المعطلة الذين عطلوا الله تعالى عن أسمائه وصفاته من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة, فبعضهم نفى صفات الله كليًا كالجهمية وبعضهم أثبت بعضها كالمعتزلة والأشاعرة, وتصرفوا فيها تصرفًا لا يليق, والله تعالى قد بين في كتابه صفاته وأسماءه, ووضح ذلك وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم, فعندما يأتي هؤلاء المبتدعة ويحرفون في أسماء الله وصفاته, فهذا مخالف للشرع ولما جاء عن الله تعالى من الوحي.

فأهل السنة لا ينفون عن الله تعالى ما وصف به نفسه, كالوجه قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 27], وقال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88], وهو سبحانه له صفات الكمال التي لا نقص فيها, وأهل

السنة يثبتون له الصفة ويثبتون معنى الصفة وأن لها معنى حقيقي يليق بجلال الله تعالى, فلا يشبه وجهه وجه شيء من خلقه, فلا يشبهون الله بخلقه, فإذا أثبتوا له الوجه, فمعناه أنه وجه حقيقي يليق به سبحانه, كما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 27], فوصفه بالجلال والإكرام, فدل على أن له سبحانه وجه حقيقي, لكن بدون تشبيه بخلقه, تعالى الله وتقدس عن ذلك علوًا كبيرًا, وإذا كنا نحن الخلق أنفسنا الذين خلقنا الله وصورنا وشق أسماعنا وأبصارنا نتباين في صفاتنا, فوجه الإنسان ليس كوجه القرد, ووجه الجمل ليس كوجه الثور, بل نحن بنو آدم لا يشبه وجه أحدنا وجه الآخر إلا نادرًا فيما يتعلق بالقرابات في النسب, مع أن هناك فارقًا, فإذا كان كذلك فكيف بالله تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير, فلا يدل هذا على أنا إذا أثبتنا لله تعالى الصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لا يدل على أننا شبهناه بخلقه.

وكذلك اليدان, فقد ذكر الله تعالى أن له يدين كريمتين, فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: 64], فبين سبحانه أنه له يدان, وقال: {يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: 75], فأثبت أنه خلق آدم بيديه العظيمتين الكريمتين سبحانه اللتان لا تشبهان شيئًا من أيدي خلقه, بل من عظمته وجلاله وكبريائه أنه تعالى يوم القيامة كما جاء في حديث عبد الله بن عمر, عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله تعالى يطوي السماوات بيمينه, ويقبض الأرض بيده الشمال1)[2].

فإثباتنا لليدين لله تعالى جاء في الكتاب والسنة, وجاء في حديث الحبر أيضًا إثبات الأصابع لله تعالى, وأنها خمس, قال ابن عباس: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا

---

[1] هذه لفظة مسلم, وهي شمال كاملة وليست ناقصة كالمخلوقين, وعندما تذكر يد الله تعالى يقال: وكلتا يديه يمين.

[2] أخرجه الشيخان.

رسول الله, إنا نجد في التوراة أن الله تعالى يضع السماوات السبع على إصبع, والأرضين السبع على إصبع, والماء والثرى على إصبع, والجبال والشجر على إصبع, وسائر الخلق على إصبع, ثم يهزهن ويقول: أنا الملك, أنا الجبار. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر[3].

فإذا أثبتنا لله تعالى اليدين والأصابع وجميع ما وصف به نفسه فليس معناه أنا شبهناه بخلقه, فإذا كانت الإصبع الواحدة من أصابع الله تعالى يجعل عليها السماوات السبع كلها, والإصبع الأخرى يجعل عليها الأرضين السبع وهكذا, كما جاء في الحديث, فمعنى هذا أن هناك فرقًا بين صفات الرب العظيمة التي لا تشبه صفات شيء من خلقه, وبين صفات سائر المخلوقات, فالمخلوقات لها صفات تليق بها وهي ناقصة وضعيفة, وأما صفات الرب فصفات كاملة لا يلحقها نقص ولا عيب, على حد قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

أما الأشاعرة فيقولون: المراد باليد النعمة. وبعضهم يقول: المراد القدرة. وكل هذا كذب, وتحريف لكلام الله ولكلام رسوله صلى الله عليه وسلم, وهذا لا يصح أبدًا, فالله تعالى له صفة القدرة الكاملة, لكنها ليست صفة اليد, بل له يدان حقيقيتان تليقان بجلاله وعظمته لا تشبه أيدي شيء من خلقه.

قوله: وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ: وذلك كما يقول بعض الأشاعرة في حديث النزول: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا إذا بقي الثلث الآخر من الليل, فيقول: هل من مستغفر فأغفر له, هل من تائب فأتوب عليه, هل من سائل فيعطى سؤله), فقالوا: ينزل بعض ملائكة الله. فحرف كلام النبي صلى الله عليه وسلم, أما أهل السنة فيثبتون هذا النزول حقيقة لله تعالى كما يليق بجلاله, وأنه العلي الأعلى, وأن هذا لا ينفي علوه على خلقه تعالى؛ لأننا لا

---

[3] أخرجه الشيخان.

نستطيع أن ندرك هذا بعقولنا ونقول: كيفية النزول كذا. لكن نثبته كما أثبته النبي صلى الله عليه وسلم, مع اعتقاد أن الله تعالى ليس فوقه شيء, والنزول هو حقيقي يليق بجلاله على حد قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وبعضهم يقول: تنزل رحمة الله. وهذا خطأ, فالرحمة صفة أخرى من صفات الله تعالى.

قوله: وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ: أي لا يشتقون من أسمائه صفة مخالفة, كما فعل المشركون عندما اشتقوا اللات من الإله, والعزى من العزيز, ومناة من المنان, أو يكون اسم أحدهم: عبد العزيز. فيقال له: العزيز. فهذا خطأ وهو من التحريف في أسماء الله تعالى.

فأهل السنة لا يلحدون في أسماء الله تعالى وآياته.

قوله: وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ: أي لا يشبهون الله تعالى بخلقه, فيقول: وجه كوجه فلان, أو يده كيد كذا من خلقه. فلا يمثلونه بخلقه؛ لأن هذا كما ورد عن نعيم بن حماد الخزاعي أنه قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر, ومن نفى ما وصف الله به نفسه فقد كفر[4]. فهذا لا يجوز وهو من عقيدة أهل الإلحاد, أما أهل السنة فإنهم ينفون كل صفة نقص عن الله تعالى, فلا يمثلونه أو يشبهونه بخلقه سبحانه.

قوله: لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: 65], وقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1 – 4], وقال: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22], والأنداد هن النظراء والشركاء, سواء كانوا في الربوبية أو الإلهية أو الأسماء والصفات, فلا يجعل لله ندًا في ربوبيته أو إلهيته ولا في أسمائه وصفاته.

---

[4] أخرجه البخاري.

فالله تعالى ليس له مكافئ أو مماثل, فهو منزه عن صفات النقص والعيب, موصوف بكل صفة كمال وجلال وجمال, كما قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255], وقال: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 163], وقال: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 22 – 24], فلا ند له سبحانه لا في ربوبيته ولا في إلهيته ولا في أسمائه وصفاته, بل له سبحانه صفات الكمال التي لا نقص فيها ولا عيب من جميع الوجوه, فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم –كما جاء في حديث أبي هريرة– إذا أخذ فراشه قال: (اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم, ربنا ورب كل شيء, فالق الحب والنوى, منزل التوراة والإنجيل والقرآن, أعوذ بك من شر كل شيء[5], اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء, وأنت الآخر فليس بعدك شيء, وأنت الظاهر فليس فوقك شيء, وأنت الباطن فليس دونك شيء, اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)[6]. وهذا يذكر عند تفسير قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3], كما ذكره ابن كثير.

نسأل الله تعالى أن يرزقني وإياكم الإيمان والعمل الصالح, وأن يرزقنا الإيمان بالله تعالى وبربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته, كما جاء عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكما اعتقده أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين,

---

[5] وفي رواية: من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها.

[6] أخرجه مسلم وابن ماجه.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة, وان يتوفنا على الإيمان, إنه على كل شيء قدير, وبالإجابة جدير, ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا جميعًا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا, إنه تعالى على كل شيء قدير, ونسأله تعالى أن يرفع عنا وعنكم وعن جميع إخواننا المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات هذا الوباء, ونسأله تعالى أن يوفقنا للتوبة من ذنوبنا فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة, فعلينا أن نجأر إلى الله تعالى وندعوه دائمًا وأبدًا, ونأتي بالأسباب النافعة من أذكار الصباح والمساء, وأذكار النوم, وأن نرقي أنفسنا بالقرآن وبالأدعية النبوية, وأن نعمل بالأسباب النافعة التي ذكرها الأطباء المسلمون المعاصرون التي لا تخالف الشرع من النظافة ومن أهم ذلك السواك وتطهير الفم واستنشاق الماء عند القيام من النوم, كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فليجعل في منخريه من الماء, ثم لينتثر فإن الشيطان يبيت على خيشومه), وقد أمر النبي بغسل اليدين عند القيام من النوم فقال: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا), فسواء كان هناك إناء كما في العصر القديم, أو من الصنبور فتغسل يديك ثلاثًا إذا استيقظت من النوم كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم, واستخدام المعقمات أيضًا نافع بإذن الله تعالى, والاعتماد على الله ودعائه والإيمان بأن هذا من الله وأن الأمور بيده, وهو الذي يكشف الضر والسوء سبحانه, فنتوب إليه وندعوه دائمًا وأبدًا بكشف هذا الوباء, وأن يكتب للمسلمين الذين يصيبهم الأجر والمثوبة ومن توفي منهم نسأل الله له الشهادة, هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين, وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.